بالضلال وبالشرك والكفر وبالردة وأمر بأن يقول لا إله إلا الله ويستعيذ من الشيطان ويتفل عن
يساره ثلاثاً منه وتكفيراً له، وأمر بأن يفعل ذلك ثلاثاً دون مقابل.. أقول لا نبالغ فنطلب إلى المخالف أن
يرينا أمراً من الأمور حكم عليه بهذه الأشياء كلها ثم لا يكون حراماً بل هو من [illegible] وإثم فإننا إذا طلبنا إليه ذلك وما
طلبنا إليه أن يقدم إلينا [illegible] :
على أن هذا المحمل الذي ذهب إليه في هذه الأخبار لا يعصمه من أن يصطدم بما حكم عليه بالطعن، ذلك
لأنه زعم بأن الله قد أقسم بالمخلوقين وزعم بأن ما يحسن من الله يحسن منا وما يقبح منه يقبح منا في
هذه المسألة وزعم بأن الرسول قد أقسم بالمخلوقين وبأن أصحابه وعشرات المسلمين جميعاً قد أقسموا بالمخلوقين
كما تقدم في كلامه، فإذا صح هذا الكلام خرج منه بأن الله ورسله وأنبياءه وعباده المسلمين الصالحين الأتقياء
الأبرار كافة يأتون عمداً المكروه الشديد الكراهة ويأتون ما يستحقون عليه بأن يلعنوا لأنه زعم
أن المكروه يلعن عليه وما يستحقون عليه بأن يحكم عليهم بالكفر والشرك ثم يكون الحكم صحيحاً صادقاً
وأي مسلم يزعم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بأن أحد أنبياء الله ورسله يفعل فعلاً أو يقول قولاً يستحق عليه بأن
يلعن بلسان الشرع الصادق ويستحق عليه بأن يقال أنه قد كفر أو أشرك فضلاً عن أن يقال ذلك في الله جلت
قدرته وتعالت عظمته؟ وبهذا العلم بطلان الأمر الثاني أعني زعمه أن الشرك والكفر يطلقان على فعل المكروه
غير الحرام وما قال هذه المقالة إنسان قبل هذا الإنسان. نعم قال بعض أهل العلم أن الكفر والشرك قد يطلقان
على فعل الكبائر المحرمة التي لا تبلغ أن يكون بصاحبها شركاً ولا كفراً كقتال المسلم وكالزنا والسرقة وشرب
الخمر والبراءة من الوالدين والطعن في الأنساب والنياحة على الميت ونحو ذلك مما جاءت الأخبار الصحيحة بإطلاق
اسم الكفر عليه أو اسم الشرك عليه فقالوا في تفسير هذه الأخبار أنه يراد بها دون الكفر
والشرك المخرجين من الإسلام الموجبين الخلود في النار لقيام الدلائل لديهم على أن مرتكبي هذه الآثام لا
يخرجون من الملة بتاتاً إن لم يشركوا بالله ويكفروا فقالوا يراد بالشرك هنا الإثم الكبير لأن الإثم الكبير قد
يجر صاحبه إلى الكفر أو لأنه من أعمال الكفار والمشركين أو لأنه
كان ينبغي أن لا يعمله إلا من كفروا وأشركوا بالله لأنهم لا يبالون عقاباً ولا حساباً أما المؤمنون بالله ومن
لا يشركون به فكان ينبغي أن لا تكون الآثام الكبيرة من أعمالهم ومن شأنهم لأنهم يخافون العقاب والحساب ويخافون
يوم العرض وهذا يحجزهم عن غشيان الكبائر المؤدية إلى دخول النار أو ينبغي أن يكون ذلك لهم حاجزاً. وهذا
هو معنى قول طوائف أخرى من السلف والعلماء: كفر دون كفر وشرك دون شرك كما يقال: ذنب دون ذنب
ومعصية دون معصية وهذا القول أصدق وأكثر مطابقة للألفاظ الشرعية ونصوصها ولكنه لا ريب
أن معنى القولين واحد لا يختلف فالذين قالوا: حرام وعصيان وليس كفراً ولا شركاً لا يخالفون قول
الآخرين: أنه كفر دون كفر وشرك دون شرك بل هم يوافقونهم كل الموافقة وهم لا ينكرون أن
يطلق لفظ الشرك ولفظ الكفر على ما أطلقه الله أو رسوله عليه ذلك أيضاً ولكنهم آثروا أحد التعبيرين على
الآخر - أي آثروا التعبير بحرام ودلالة على التعبير بكفر أو شرك - لأنهم علموا أن الشرك والكفر
عندما يطلقان تجد من يسمعهما لقرائنه الأشياء الأخرى يفهم منهما الكفر والشرك الخالصان المخرجان من
الدين جملة واحدة. فقالوا - فراراً من هذا الوهم الخاطئ - حرام وعصيان وهم يعترفون بقول الآخرين
كفر دون كفر وشرك دون شرك فلا اختلاف ولا خلاف... أما قول هذا الرافضي فلم يذهب
إليه إنسان ولم يقله مخلوق من قبله إلا أن يكون من طائفته فالله أعلم - لم يذهب إنسان إلى أن يطلق
اسم الكفر أو الشرك على من عمل المباح الجائز أو المكروه الذي لم يحرم وإن كان قد نهى واحد عن الله أو
عن رسوله أو عن أحد من علماء المسلمين فنحن نتحداه ونطلب إليه إيراده وإلا فليترك المراء مع
المسلمين يسبون المنار به وليبع نفسه لئلا تقطعه الزحام:: وأما الأمر الثالث - وهو زعمه أن فاعل المكروه +
قد يلعن - فيقال في جوابه: كلا والله ما قال ذلك أحد بل قال العلماء: إنه من الدلائل على كون الأمر من
الكبائر إطلاق اللعنة عليه أو على فاعله فإذا قرن عمل من الأعمال بلعنه أو بلعن عامله دل ذلك على
أن ذلك العمل حرام وليس حراماً فقط بل حرام وكبيرة لأن الحرام قد يكون كبيرة وقد لا يكون كبيرة
كما جاء في النصوص وكما أن الشرك والكفر انقسما قد ينقسمان هذا الانقسام كما قالوا كفر دون كفر وشرك
دون شرك على ما سمعت فالأمر الذي يلعن فاعله وعامله لا بد أن يكون حراماً بل لا بد أن يكون حراماً
مغلظاً فهو يصح أن يكون كفراً أو شركاً ويصح أن يكون ذنباً عظيماً كبيراً. ونحن إذا رجعنا إلى نصوص
الكتاب ونصوص السنة لم نجد ما قلناه إلا صواباً وحقاً فالقرآن الكريم لم يرسل اللعنة إلا على من
كفروا وأشركوا أو على من أتوا ذنوباً كبيرة عظمى لها آثار في المجتمع الإنساني خبيثة منكرة
قال تعالى: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله